تضامّها بالإبالة، وقيل: أبابيل، مثل عباديد، وشماطيط لا واحد لها. وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: يرميهم، أي: الله تعالى أو الطير، لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى.

تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾.

﴿وسجيل﴾ كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينًا علم لديوان أعمالهم. كأنه قيل: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال لأنّ العذاب موصوف بذلك وأرسل عليهم طيرًا فأرسلنا عليهم الطوفان، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر، وقيل: هو معرب من سنككل، وقيل: من شديد عذابه، ورووا: بيت بن مقبل. ضربًا تواصت به الأبطال سجيلاً وإنما هو سجينًا. والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق الزرع إذا أكل. أي: وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو بتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن. كقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾[1] أو أريد أكل حبه فبقي صفرًا منه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة قريش مكية

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾.

﴿لإيلاف قريش﴾ متعلق بقوله: ﴿فليعبدوا﴾، أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين.

فإن قُلْتَ: فلِمَ دخلت الفاء؟ **قُلْتُ:** لما في الكلام من معنى الشرط لأنّ المعنى إما لا فليعبدوه لإيلافهم على معنى أنّ نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل: المعنى عجبوا لإيلاف قريش. وقيل: هو متعلق بما قبله. أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش. وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقًا لا يصح إلا به. وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة بلا فصل، وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب، وقرأ في الأولى والتين[3] والمعنى: أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم، وكانت لقريش رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام. فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرّض لهم، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم، والإيلاف من قولك: ألفت المكان أولفه إيلافًا إذا ألفته فأنا مؤلف، قال: من المؤلفات الزهو غير الأوراك. وقرئ: لئلاف قريش، أي: لمؤالفة قريش. وقيل: يقال ألفته إلفًا وإلافًا. وقرأ أبو جعفر: لإلف قريش. وقد جمعهما من قال:

زعمتم أنّ إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

وقرأ عكرمة: ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف، وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار. وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما: بم سميت قريش؟ قال: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى. وأنشد:

وقريش هي التي تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشًا

والتصغير للتعظيم. وقيل: من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد، أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيمًا لأمر الإيلاف. وتنكيرًا بعظيم النعمة فيه، ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولاً به كما نصب يتيمًا بإطعام. وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس كقوله: كلوا في بعض بطنكم. وقرئ: رحلة بالضم، وهي الجهة التي يرحل إليها. والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني: أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، وأمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم، وقيل: كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وأمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم، وقيل: ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه. ومن بدع التفاسير: وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم. وقرئ: من خوف بإخفاء النون. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها»[4].

(1) سورة المائدة، الآية: 75.

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 289.

(3) رواه عبد الرزاق في المصنف: 2/ 109، (الحديث رقم: 2697).

(4) ذكره الثعلبي والواحدي وابن مردويه في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 293.